خيبة سعودية من المرتزقة العربية



وقد أثارت هذه الأنباء تساؤلات عديدة بشأن طبيعة التحركات التي تقف خلفها، والأهداف التي تسعى الرياض إلى تحقيقها من خلال محاولة استدعاء أطراف جديدة إلى ساحة المواجهة مع صنعاء. فبعد سنوات طويلة من الحرب، وما رافقها من استنزاف عسكري وسياسي واقتصادي، يبدو أن السعودية لا تزال تبحث عن وسائل جديدة لتعويض إخفاقاتها، حتى وإن تطلب الأمر الاستعانة بمجموعات مسلحة من خارج حدودها. إن مجرد تداول مثل هذه التقارير يكشف عن حجم الإحباط الذي وصلت إليه الحسابات السعودية، خصوصاً بعدما أثبت اليمن أنه ليس ساحة يمكن إخضاعها بسهولة، ولا شعباً يمكن كسر إرادته بالضغوط والحروب.

وفي هذا السياق، جاء الموقف الذي أعلنه علي العماد، عضو المكتب السياسي لأنصار ا، ليضع النقاط على الحروف، مؤكداً رفض صنعاء لأي تدخل يستهدف اليمن، ومجدداً التأكيد أن الدفاع عن سيادة البلاد واستقلال قرارها يمثل خطاً أحمر لا يمكن تجاوزه.

إن الحديث المتزايد عن احتمال استعانة السعودية بمجموعات مسلحة تابعة لنظام الجولاني في سوريا للمشاركة في الحرب ضد اليمن، لا يمكن قراءته بمعزل عن مسار الصراع الطويل الذي فشلت خلاله الرياض في تحقيق أهدافها المعلنة.

فالسعودية التي دخلت الحرب وهي تراهن على حسم سريع وإخضاع صنعاء، وجدت نفسها أمام واقع مختلف تماماً، حيث تحول التدخل العسكري إلى استنزاف مستمر، وتعقدت الحسابات السياسية والعسكرية، وتراجعت فاعلية الرهانات التي قامت عليها الحرب.

ومن هنا، فإن محاولة البحث عن قوى مسلحة إضافية، إن صحت التقارير المتداولة بشأنها، تعكس أزمة في الخيارات أكثر مما تعكس امتلاكاً لأدوات جديدة قادرة على تغيير موازين المواجهة.

والأكثر دلالة أن التفكير في استقدام مجموعات مسلحة من الساحة السورية يكشف عن رغبة في توسيع دائرة الصراع، وإقحام أطراف جديدة في حرب لم تكن طرفاً فيها أساساً. وكأن الرياض، بدلاً من مراجعة سياساتها والبحث عن تسوية سياسية جادة تنهي معاناة اليمنيين، تريد إعادة تدوير أدوات الصراع والاستعانة بتشكيلات مسلحة جديدة. غير أن هذه الحسابات تتجاهل حقيقة أساسية، وهي أن المشكلة السعودية في اليمن ليست نقصاً في عدد المقاتلين، بل فشل الرؤية التي تعاملت مع اليمن باعتباره بلداً يمكن إخضاعه بالقوة. ولذلك فإن استدعاء مجموعات إضافية لن يمحو إخفاقات السنوات الماضية، ولن يمنح الحرب شرعية أو يضمن تحقيق أهدافها.

جاء التصريح الذي أدلى به علي العماد، عضو المكتب السياسي لحركة أنصار ا، ليعكس بوضوح طبيعة

الموقف اليمني إزاء التقارير المتداولة بشأن احتمال تدخل نظام الجولاني في الحرب. فقد أكد العماد ترحيب صنعاء بالموقف الذي أعلنه وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني بشأن عدم التدخل في اليمن، مشدداً في الوقت نفسه على أن اليمن مستعد دائماً لمواجهة الكيان الصهيوني، وأنه لم يكن في أي مرحلة طرفاً في الحرب التي شهدتها سوريا. ويحمل هذا التصريح رسائل سياسية واضحة، أبرزها أن صنعاء لا تبحث عن فتح جبهات جديدة، ولا تسعى إلى توسيع دائرة العداوات مع أي طرف، لكنها في المقابل لن تقبل أن يتحول اليمن إلى ساحة مفتوحة لتصفية الحسابات الإقليمية.

وهنا تبرز أهمية الموقف الذي أعلنه العماد، فهو لا يقتصر على الترحيب بتصريح سوري رافض للتدخل، بل يتضمن تحذيراً واضحاً من مغبة الانخراط في أي مشروع يستهدف اليمن. فصنعاء، وفق هذا الموقف، تميز بين الدول التي تختار الابتعاد عن الصراع وبين الجهات التي قد تفكر في إرسال مجموعات مسلحة للمشاركة فيه. كما أن تأكيد العماد على استعداد اليمن لمواجهة الكيان الصهيوني يعيد توجيه بوصلة الخطاب نحو القضية التي ينبغي أن تحظى بالأولوية، بدلاً من الزج بمقاتلين في صراعات عربية وإقليمية لا تخدم سوى الأطراف التي تستفيد من استمرار الفوضى والانقسام.

إن أي تفكير لدى نظام الجولاني في إرسال مجموعات مسلحة إلى اليمن، إذا صحت التقارير المتداولة بشأنه، سيطرح سؤالاً جوهرياً حول الأولويات السياسية والعسكرية التي تحكم هذا النظام. فكيف يمكن الحديث عن إرسال مقاتلين إلى بلد عربي آخر، بينما لا تزال سوريا تواجه تحديات أمنية وسياسية وسيادية بالغة التعقيد، وفي مقدمتها استمرار الاحتلال الإسرائيلي لأجزاء من أراضيها؟ وكيف يصبح التوجه نحو اليمن أولوية، في الوقت الذي تحتاج فيه سوريا إلى معالجة أزماتها الداخلية، والدفاع عن أراضيها ؟

إن المنطق السياسي يقتضي أن تنصرف الجهود إلى حماية الأرض السورية ومواجهة الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية، لا إلى التفكير في فتح جبهات خارجية والمشاركة في صراعات لا تعني الشعب السوري. فاليمن لم يكن طرفاً في الحرب السورية، ولم يتدخل لإرسال مجموعات مسلحة إلى أراضيها، ومن ثم فإن محاولة

الزج بمقاتلين سوريين في مواجهة اليمن، إن حدثت، ستكون خطوة بالغة الخطورة، وتفتح الباب أمام تعقيد العلاقات بين شعوب المنطقة.

وعلى نظام الجولاني أن يدرك أن مسؤولياته تبدأ من سوريا، وأن معالجة الأزمات الداخلية وحماية السيادة الوطنية يجب أن تتقدم على أي حسابات خارجية. فليس من المقبول أن تتحول المجموعات المسلحة إلى أدوات تتحرك وفق مصالح دول أخرى، بينما تبقى القضايا الوطنية الأساسية معلقة. وإذا كانت هناك معركة تستحق توجيه الجهود إليها، فهي معركة حماية الأراضي السورية من الاحتلال والاعتداءات، لا التوجه إلى اليمن استجابة لحسابات الرياض.

إن الرسالة الأهم التي يحملها الموقف اليمني تتمثل في أن صنعاء لا تسعى إلى العداوة مع أحد، لكنها في الوقت ذاته لن تقف مكتوفة الأيدي أمام أي محاولة لفرض الحرب عليها أو انتهاك سيادتها. فاليمن، الذي تحمل سنوات طويلة من المواجهة، لن يقبل أن يتحول إلى ساحة تتحرك فيها المجموعات المسلحة وفق أجندات خارجية، ولن يسمح بأن تصبح أراضيه مرتعاً للتشكيلات الجهادية أو ساحة لتصفية الحسابات الإقليمية. وهذه الرسالة لا تستهدف الشعب السوري، ولا تنطلق من موقف عدائي تجاه السوريين، بل تتعلق برفض أي قرار سياسي أو عسكري يزج بأطراف سورية في مواجهة اليمن.

وفي هذا الإطار، فإن التحذير الذي يتضمنه تصريح علي العماد ينبغي أن يُقرأ باعتباره تأكيداً على حق اليمن في الدفاع عن نفسه، وليس إعلاناً عن رغبة في توسيع الحرب. فصنعاء تدرك أن أي تدخل عسكري جديد سيحمل تداعيات خطيرة، وأن إرسال مجموعات مسلحة إلى اليمن لن يؤدي إلا إلى تعقيد المشهد وزيادة المخاطر على المنطقة بأسرها. وإذا اختار نظام الجولاني تجاهل التحذيرات والانخراط في مشروع عسكري ضد اليمن، فعليه أن يتحمل المسؤولية السياسية عن قراره وتبعاته. فاليمن يمتلك إرادة الدفاع عن أرضه وشعبه، ولن يتعامل مع أي اعتداء على أنه أمر يمكن تجاوزه أو التساهل معه. والسيادة الوطنية ليست ورقة تفاوض، بل مبدأ لا يقبل المساومة.

في المحصلة، تكشف التقارير المتداولة بشأن احتمال تدخل نظام الجولاني إلى جانب السعودية في الحرب ضد اليمن عن خطورة استمرار التفكير بعقلية الحروب بالوكالة، ومحاولة استدعاء مجموعات مسلحة من ساحات أخرى لتعويض الإخفاقات العسكرية والسياسية. فبدلاً من أن تتجه الجهود نحو إغلاق ملفات الصراع وفتح أبواب الحلول السياسية، تظهر مجدداً محاولات لإعادة إنتاج الحرب بأدوات جديدة، وهو ما من شأنه أن يضاعف أزمات المنطقة ويزيد من معاناة شعوبها. ومن هنا تأتي أهمية الموقف الذي أعلنه علي العماد، والذي أكد أن صنعاء ترحب بعدم التدخل السوري، لكنها لن تقبل بأي مشاركة عسكرية تستهدف اليمن.

إن الرسالة اليمنية واضحة: لا عداوة مع الشعب السوري، ولا رغبة في نقل الصراعات إلى أراضي الآخرين، لكن أي اعتداء على اليمن سيواجه بموقف حازم دفاعاً عن الأرض والسيادة. وعلى نظام الجولاني أن يراجع أولوياته، وأن يدرك أن سوريا بحاجة إلى معالجة أزماتها وحماية أراضيها من الاحتلال الإسرائيلي، لا إلى فتح جبهة جديدة في اليمن خدمة لحسابات السعودية. أما الرياض، فعليها أن تدرك أن الاستعانة بأطراف إضافية لن تعالج جذور إخفاقاتها، ولن تغير حقيقة أن الحروب لا تصنع استقراراً دائماً. فاليمن ليس ساحة مستباحة، وشعبه ليس رقماً في حسابات الآخرين، وصنعاء تؤكد أن سيادة البلاد والدفاع عن استقلال قرارها سيبقيان فوق كل الاعتبارات، مهما تعددت الضغوط وتغيرت أدوات المواجهة.